المحدّث المتّبع للسنّة

إن الاقتداء برسول الله ﷺ من أجلّ الأمور التي يسعى إلى تحقيقها الصوفية، وهم يرون - في صدق - أن القرب من الله سبحانه لا يتأتى إلا بالسير في الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ.

إن الله سبحانه يقول:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

وكيف يقتدي الإنسان برسول الله ﷺ إذا لم يكن على معرفة بسيرته، ومن أجل هذه المعرفة درس الصوفيةُ السيرةَ النبويةَ.. درسوها في مظانّها من كتب السيرة ومن كتب الحديث.

وبعض الصوفية خطا خطوة أخرى فاشتغل بالحديث وأصبح محدّثاً، ومن هؤلاء: **الفضيل بن عياض.**

أما فيما يتعلق بذي النون فإنه درس السيرة دراسة مستفيضة، درسها ليقتدي بها ودرسها ليرشد إليها.

ودرس الحديث، بل وأسند الحديث عن الأئمة - رحمهم الله تعالى:

عن مالك، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض وغيرهم.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

ولكنَّ أمْرَهُ فى إسناد الحديث سار على ما وصف صاحب «الحلية» إذ يقول :

« **شَغَلَتْهُ الرعايةُ عن الرواية** » .

وذو النون هو الذى يقول :

« **من علامات المحبِّ لله : متابعةُ حبيبِ اللهِ فى أخلاقه وأفعاله وأمْره وسُننه** » .

﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾(١) .

ومن كلمات ذى النون التى لها مغزاها فيما يتعلق باتِّباع السُّنَّة الشريفة ما يحدِّث به محمد بن سعيد الخوارزمى ، قال :

سمعت ذا النون ـ وقد سُئل عن المحبة ـ قال :

« **أنْ تحبَّ ما أحبَّ الله ، وتبغضَ ما أبغضَهُ الله ، وتفعلَ الخيرَ كله، وترفضَ كلَّ مَا يشغلُ عن الله ، وألاَّ تخافَ فى الله لومةَ لائم، مع العطف للمؤمنين ، والغلظةِ على الكافرين ، واتِّباعِ رسولِ اللهِ ﷺ فى الدِّين** » .

ومن الأحاديث التى أسندها ذو النون ما يلى :

يقول أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصرى :

حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن أنس ، قال :

قال رسول الله ﷺ :

« **إنَّ لله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أحبَّةً منْ خَلْقه** » .

قيل : من هم يا رسول الله ؟

قال : « **أَهْلُ القُرآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وخَاصَّتُه** » .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

ويقول أبو الفيض ذو النون: حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

« **تَجَافَوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ فإنَّ اللهَ تَعالى آخِذٌ بيدِهِ كُلَّما عَثَر** »(١).

ولقد روى ذو النون هذا الحديث الشريف بعدة طرق.

ويقول رضي الله عنه: سمعت الفضل بن هانئ، سمعت مالك بن أنس رحمه الله، سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبريل يقول:

« **مَنْ قَالَ مِنْ أُمَّتِكَ - يَا مُحَمَّدُ - كلَّ يوم مائةَ مَرَّة: لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، كانَ أماناً منَ الفقرِ وأُنْساً مِنْ وَحْشَةِ القبرِ، واستجلبَ به الغِنَى، واستقرعَ به بابَ الجنة** »(٢).

ويقول ذو النون: حدثنا مالك بن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« **مَنْ قالَ في كلِّ يومٍ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ - مائةَ مَرَّةٍ - غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ** ».

ويقول ذو النون المصري: حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) روى من طرق أخرى.

(٢) ينبغي أن يفهم معنى هذا الحديث وأمثاله على وجهه الصحيح، أي: من قالها مؤمناً بها إيمان يقين يعصمه من أن يستسلم لغير الله من نزغة أو شهوة أو حب جاه أو مال... فمن قالها على هذا الوجه كانت لها ثمارها من الخيرات الكثيرة.

« **الدُّنيا سِجْنُ المؤمنِ وجَنَّةُ الكَافِر** » .

ويقول ذو النون المصرى : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

« **مَنْ أَتَى الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ** » . . أخرجه الخطيب فى « رواة الحديث» . والحديث فى « الموطأ » .

ويقول ذو النون : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى بكر أنه سمع أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ :

« **يَتْبَعُ الميتَ ثلاثٌ ، فَيَرْجِعُ اثنانِ ويَبْقَى واحدٌ ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ ومَالُهُ وعَمَلُهُ . فَيرجعُ أَهْلُهُ ومَالُهُ ، ويَبْقَى عَمَلُه** »(١) .

ومن أقواله لرجل :

« **ليكنْ آثر الأشياء عندك وأحبها إليك إحكام ما افترض الله عليك واتقاء مَا نهاك الله عنه ، فإن ما تَعبَّدك الله به خيرٌ لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر الذى لم يجب عليك وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد ، وإنما ينبغى للعبد أن يراعى أبداً ما وجب عليه من فرض يُحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نُهى عنه ، فيتقيه على إحكام ما ينبغى .**

واعلمْ أن الذى منع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان وما أعد الله لأوليائه وأعدائه ، حتى يكونوا كأنهم مشاهدون لها : التهاون عن إحكام ما افترض عليهم فى قلوبهم وأسماعهم

---

(١) حديث صحيح .

وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم . ولو أحكموها أدخل عليهم الفوائد حتى تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما ورَّثهم الله من معوناته وفوائد كراماته،ولكنهم حقروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بما فيهم من العيوب . فحُرِمُوا ثوابَ الصادقين » .

* * *

obeikandl.com